

تفسير ابن كثير | شرح الشيخ عبدالرحمن العجلان | 64- سورة آل عمران | من الآية 601 إلى 701

عبدالرحمن العجلان

والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد. سم الله. اعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم. يوم تبيض وجوه وتسود وجوه أما الذي أسودت وجوههم أكفرتهم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون - [00:00:00](#)

وأما الذين بيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون. حسبك هاتان الآيتان الكريمتان من سورة آل عمران جاءتا بعد قوله جل وعلا ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون - [00:00:30](#)

ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك فلهم عذاب عظيم. يوم تبيض وجوه وتسود وجوه. الآيتين يوم تبيض وجوه وتسود وجوه. متى هذا يوم أذكر يا محمد لامتك هذا ذكرهم ذلك - [00:01:00](#)

وذلك يوم القيامة. ومتى في أي موقف من مواقف يوم القيامة قيل حين البعث بعد البعث المؤمنون يفرحون ويسرون ويظهر عليهم أثر النعيم والسرور وتبيض وجوههم والكافرون تسود وجوههم والعياذ بالله بالكآبة والحزن - [00:01:40](#)

قيل عند قراءة الكتاب يوم تطاير الصحف واحد يأخذ كتابه بيمينه فيرى الحسنات فيسر بها. والآخر والعياذ بالله يأخذ كتابه بشماله فيرى السيئات فيساء بها. وقيل عند الميزان عندما توزن الأعمال فتثقل موازين المؤمنين. وتخف - [00:02:20](#)

موازين الكافرين والظالمين. وقيل عندما يؤمر باهل في الجنة إلى الجنة. ويؤمر باهل النار إلى النار والعياذ بالله ببيع الوجوه وأسودادها قيل هو تبيض فعلا وتكون بيضاء تتلألى والآخرى مسودة مكفهرة سوداء. وقيل هو ما يشعر به المؤمن من السرور - [00:03:00](#)

والبهجة وما يشعر به الفاجر والكافر من الكآبة والحزن ومن المراد بهؤلاء وهؤلاء؟ خذ التفسير عن حبل هذه الأمة وترجمان القرآن رضي الله عنه وأرضاه. قال ابن عباس رضي الله - [00:03:40](#)

عنهما تبيض وجوه أهل السنة. وتسود وجوه أهل البدعة لأنه أدرك رضي الله عنه طوائف من أهل البدعة. من نفاة القدر ولما ذكر له من ينفي القدر قال دلوني عليه. يقول وقد عمي - [00:04:10](#)

رضي الله عنه كف بصره وقيل له ما تصنع به؟ قال لأن مكنتني الله منه لأعص ظن أنفه حتى أقطعه. ولعلوين رقبتة حتى أكسرها وروي عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه - [00:04:40](#)

وسلم يقول في قول الله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه قال يعني تبيض وجوه أهل السنة وتسود وجوه أهل البدعة. وبشرهم بعض التابعين رحمهم الله بقوله تبيض وجوه المهاجرين والأنصار وتسود وجوه بني قريظة والنضير - [00:05:10](#)

وهذا داخل ضمن الأول وهو تفسير بجزء منه لأن المهاجرين من أهل السنة والقريظة كل نظير كفرة فجرة من كفار اليهود وقال أبي بن كعب رضي الله عنه الذين أسودت وجوههم هم الكفار - [00:05:40](#)

وقيل لهم أكفرتهم بعد إيمانكم لاقراركم حين أخرجتم من ظهر آدم وهو اختيار ابن جرير الطبري رحمه الله. وقال الحسن رحمه الله هذه في المنافقين. وقال قتادة هي في المرتدين. وقال - [00:06:20](#)

هم قوم من أهل الكتاب كانوا مصدقين بأنبيائهم مصدقين محمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث فلما بعث عليه الصلاة والسلام كفروا به فذلك قوله قال أكفرتهم بعد إيمانكم؟ يعني كانوا مؤمنين من أنبيائهم - [00:06:50](#)

ويتوعدون الكفار والمشركين بمبعث محمد صلى الله عليه وسلم. فلما بعث كفروا به والعياذ بالله فيقال لهم اكفرتم بعد ايمانكم؟ بخلاف من امن بمحمد صلى الله عليه وسلم منهم واتبعه فانه ممن يؤتى اجره مرتين. وقال - [00:07:20](#)

السلام عليكم رحمه الله امام دار الهجرة هي في اهل الالهواء اهل البدع اهل البدع من المخالفين لاهل السنة والجماعة وهم الخوارج والمعتزلة والرافضة وغيرهم من اهل البدع الذين خالفوا السنة والجماعة خالفوا الكتاب والسنة - [00:07:50](#)

السنة والعياذ بالله فهم متوعدون بهذا الوعيد. يجتهدون ويعملون لكن على غير صواب وفي صحيح البخاري عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - [00:08:20](#)

اني فرطكم على الحوض. الفرط هو المتقدم الذي يتقدم الركب لهم الماء فيقول انا فرطكم ولهذا يسمى الولد الصغير اذا مات في حياة ابويه يقال فرط. يعني انه سابق لابويه يشفع لهما عند الله جل وعلا. يوم القيامة - [00:08:40](#)

اني فرضكم على الحوض من مر علي شرب ومن شرب لم يظلم ابدا لا يريدن علي اقوام اعرفهم ويعرفوني. ثم يحال بيني وبينهم قال ابو حازم فسمعني النعمان ابن ابي ابن ابي عياش - [00:09:10](#)

فقال هكذا سمعت من سهل ابن سعد؟ فقلت نعم. فقال اشهد على ابي سعيد الخدري لسمعته وهو يزيد فيها فاقول انهم مني فيقال انك لا تدري ما احدث بعدك. فاقول سحقا سحقا لمن غير بعدي - [00:09:40](#)

الالهواء وجدوا بعده صلى الله عليه وسلم. على اختلاف مشاربهم السيئة ادركهم بعض الصحابة وبعضهم جاء بعد الصحابة رضي الله عنهم في زمن التابعين وكيف يقال يعرفهم صلى الله عليه وسلم ويعرفونه يظهر عليهم اثر انهم من امة محمد باثر الوضوء - [00:10:10](#)

يقول هؤلاء من امتي من اتباعي فيقال انك لا تدري ما احدثوا بعدك. ومن يذاذ عن الحوض قد يدخل الجنة. لكن بعد بلاء وامتحان وتعب وعذاب. ما يقال ان من يذاذ عن الحوض لا يدخل الجنة لا. هذا قول المكفرين بالكبائر - [00:10:40](#)

واهل السنة والجماعة لا يكفرون المسلم من كبيرة دون الشرك. اما الشرك فالله جل وعلا لا يغفره. واما ما دون الشرك فهو يخطئ ويكون ظالما لنفسه العقاب وقد يذاذ عن الحوض وقد يسقط في النار حينما يمر على الصراط يكون - [00:11:10](#)

سيره على الصراط حبوا او زحفا او نحو ذلك ثم ماله بعد بعدما يعذب عن العذاب الذي حقه بعدل الله جل وعلا يكون ماله الى النار. اما الخوارج ومن سلك مسلكهم من - [00:11:40](#)

فهم يقولون صاحب الكبيرة لا يدخل الجنة ابدا. وليس بهذا صحيح. يقولون يعني من يذاذ عن الحوض ما يدخل الجنة اهل السنة والجماعة يقولون قد يناد عن الحوض ويسود وجهه نوعا ما - [00:12:00](#)

ثم ماله فيما بعد الى الجنة لكن قد يطول الزمن وقد يقصر وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه كان يحدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال علي الحوض يوم القيامة رهط من اصحابي. فيجلون عن الحوض - [00:12:20](#)

فاقول يا ربي اصحابي فيقولوا انك لا علم لك بما احدثوا بعدك انهم ارتدوا على ادبارهم القهقرة ينفيه من ارتد المرتدين في زمن ابي بكر الصديق رضي الله عنه من - [00:12:50](#)

من كانوا رأوا النبي صلى الله عليه وسلم والتقوا به وارتدوا عن الاسلام رجع من رجع منهم ومنهم من لو قتل على رذته والعياذ بالله. ومنهم من مات على رذته والعياذ بالله. فمثل هؤلاء ينادون عن الحق - [00:13:10](#)

ويمنعون من وروده. قال رحمه الله والاحاديث في هذا انا كثيرة فمن بدل او غير او ابتدع في دين الله ما لا يرضاه الله ولم يأذن به الله فهو من المطرودين عن الحوض المبعدين من المسود الوجود - [00:13:30](#)

واشدهم طردا وابعدا من خالف جماعة المسلمين. وفارق سبيل ومثل رحمه الله بالخوارج والمعتزلة والرافضة وغيرهم ممن خالفوا السنة والجماعة فالويل لهم كل الويل والعياذ بالله وان تسموا باسم الاسلام وهم لا يخرجون من الاسلام ببدة - [00:14:00](#)

هذه الا من اتى ببدة مكفرة. فبعض البدع تكفر صاحبها تجعل صاحبها كافر. وبعض البدع ها لا تكفر صاحبها. يكون مبتدع لكن ما يقال عنه انه كافر. واهل السنة يفرقون بين - [00:14:30](#)

هذا وهذا ويخطئون من خالف السنة والجماعة ولا يكفرون احدا منهم الا بعد استتابته ودعوته الى الحق ثم اذا كانت بدعته مكفرة تسبب الكفر وقد تكون استمروا على بدعته. ولا يقال عنه انه كافر. لان البدع تتفاوت. كبرا وصغرا وعظمة - [00:14:50](#)

يقول فهؤلاء هم مبدلون تدعون وكذلك الظلمة المسرفون في الجور والظلم وطمس الحق وقتل اهله اذلالهم والمعلنون بالكبائر والمستخفون بالمعاصي وجماعة اهل الزيغ والاهواء قوى البدع كل يخاف عليهم ان يكونوا عنوا بالاية والخبر كما بينا - [00:15:20](#)

آآ ولا يخلد في النار الا كافر جاحد. رحمه الله يقول ولا يخلد في النار الا كافر يعني هؤلاء يخاف عليهم وهم متوعدون بهذا الوعيد. لكن هل يكفرون؟ يقال هم كفار؟ لا. احذر - [00:16:00](#)

اخي ان تتساهل في موضوع التكفير. وموضوع التكبير شأنه عظيم. ما يكفر الا من هو كافر حقا ولهذا كما قدمت قريبا يقال للامام احمد رحمه الله اتكفرونا؟ قال لا. ولو قلت بقولكم لكفرت. لاني اعرف انتم احملكم - [00:16:20](#)

على الجهل ما اكفركم ويقول الطحاوي رحمه الله اهل الكبائر اهل السنة والجماعة يخطئون ولا يكفرون. فرق بين يقول هذا مخطئ مخطئ ظال نعم ظال. هل هو كافر؟ لا. يخطئون ولا يكفرون - [00:16:50](#)

واهل البدع يكفرون من خالفهم وتجد بعضهم يكفر بعض. بعض الفرق من فرق خوارج لان الخوارج كثر. واصناف بعضهم يكفر بعض. واهل السنة والجماعة لا يكفرون الجميع. وان انما يخطئونه يقول القرطبي رحمه الله - [00:17:20](#)

وجماعة اهل الزيغ والاهواء والبدع كل يخاف عليهم ان يكونوا عنوا بالاية والخبر الاية يوم تبض وجوه وتسود وجوه. والخبر ما روي عن سهل بن سعد رضي الله عنه وعن ابي هريرة - [00:17:50](#)

في انهم يزدون عن الحوض. لكن ما يقال عن شخص معين هذا يزداد عن الحوض. وهذا لا يلد الحوض ولا يخلد في النار الا كافر جار واحد ليس في قلبه مثقال حبة خردل من ايمان. وليس - [00:18:10](#)

الصم باهل الاهواء وحدهم. بل كما قال ابن القاسم رحمه الله وقد يكون من غير اهل الاهواء من هو شر من اهل الاهواء؟ قد يكون المرء ليس من اهل الاهواء من اهل السنة - [00:18:40](#)

من حيث المعتقد لكنه شر من اهل الاهواء سفاك للدماء. مؤذن للمسلمين متعرض لهم هذا عليه خطر عظيم ولا يقال عنه انه من اهل الاهواء لان اهل الاهواء اهل البدع - [00:19:00](#)

اما الذين وجوههم فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم يقال له توبخ اكفرتم بعد ايمانكم؟ ما المراد اكفرتم بعد ايمانكم؟ كما تقدم قيل انه ايمانهم اذا كان المراد اهل الكتاب فهم ايمانهم بانبيائهم. وايمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل - [00:19:20](#)

بعثته ثم كفرهم بعد بعثته صلى الله عليه وسلم. وقيل اكفرتم بعد ايمانكم حين فاستخرجهم الله جل وعلا من من ظهر ادم وقررهم بربوبيته والوهيته فقالوا اقررنا ثم كفروا بعد هذا اتباعا للاباء - [00:19:50](#)

وتقليدا لهم. وقيل اكفرتم بعد ايمانكم هذه في المنافقين. اظهروا الايمان ظاهرا. وابطلوا الكفر. وماتوا على الكفر والعياذ بالله فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون. قال تعالى الا فذوقوا يعني ذوق يعني يدركونه وكأنهم يأكلون العذاب اكلا - [00:20:20](#)

يعني لا نجا ولا محيص منه. واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله انظروا الفرق. فاما الذين اسودت وجوههم وهم اكفرتم بعد ايمانكم؟ يعني دخولكم النار بسبب حاصل منكم. الكفر بعد الايمان - [00:21:00](#)

واما الذين ابيضت وجوههم فليس باعمالهم. لن يدخل احد منكم الجنة بعمله. قالوا ولا انت يا رسول الله. قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته منه وفضل. او كما قال صلى الله عليه وسلم. فالذي - [00:21:30](#)

اذا اسودت وجوههم بسبب فعلهم. والذين ابيضت وجوههم برحمة الله. بسبب فضل الله جل وعلا لانهم لو حوسبوا حسابا دقيقا لاستحقوا العذاب. لكن الله جل وعلا عفا عنهم وتجاوز وادخلهم الجنة برحمته ثم يقتسمون الدرجات باعمالهم كما جاء في الحديث ادخلوا الجنة برحمتي - [00:21:50](#)

واقتسموها باعمالكم. وكلما كان المرء احسن عملا من الآخر فهو اعلى منه درجة في الجنة. قد يقول قائل لما قدم الله جل وعلا الاخبار عن اسودت وجوههم. يوم ثم تبيض وجوه وتسود وجوه. فاما الذين اسودت وجوههم - [00:22:20](#)

ثم قال واما الذين ابيضت وجوههم. في الاخبار الاول قال تبيض وجوه وتسود وجوه فيه بشارة وتقديم لاهل الفضل ثم عند البيان قال فاما الذي اسودت وجوههم فالمقام مقام تحذير. وتخويف فبدأ به سبحانه ليحذره المرء - [00:23:00](#)

ليحذرها الذي يريد النجاة لنفسه. وليكون الكلام عنهم مواليا لذكرهم. لانه قال تبيض وجوه وتسود وجوه ثم تحدث عن اسودت وجوههم ليكون الكلام متوالي. واما الذين بيضت وجوههم ففي الله هم فيها خالدون. كانه والله اعلم انهم اطمأنوا ببياض الوجوه. لما اخبر عنهم جل - [00:23:30](#)

على اطمئنوا ثم طمأنهم انهم يدخلون الجنة برحمته وليس باعمالهم وفي هذه الافة هاتين الايتين الكريمتين تخويف وزجر وتحذير لاهل الاهواء لان المرء قد يجتهد ويعمل يقوم الليل اسهر الليل ويتعب النهار بالعبادة لكنه على بدعة وضلالة - [00:24:10](#)

العياذ بالله وهؤلاء كثر وهم في اخر الزمان اكثر ووجدوا في زمن الصحابة رضي الله عنهم ومنهم العباد ومنهم اهل الصيام والقيام وهم على هوى وعلى ضلالة والعياذ بالله. ينكرون ما اثبتته الله جل وعلا - [00:24:50](#)

اني نفسه ويثبتون له جل وعلا ما لم يثبتته لنفسه ولا يرضاه لنفسه وبالاخوان ظلوا وجاغوا والعياذ بالله مع ما عندهم من العلم. يعني ائمة اهل الضلال عندهم علم وعندهم عبادة وعندهم فقه لكنهم زاروا عن الصراط المستقيم - [00:25:20](#)

والعياذ بالله نفخوا عن الله جل وعلا ما هو يليق به وبجلاله ومثبت له في الكتاب والسنة وعلى سبيل المثال عمرو بن عبيد عابد يقال عنه جاهد معلم يدرس في احد المساجد فجاء اليه اعرابي - [00:25:50](#)

ووقف عند حلقة ظن بهم الخير هذا الاعرابي قال يا جماعة ناقتي سرقت فادعوا الله ان يردها علي. فرفع عمرو بن عبيد الذي هو شيخهم يديه الى السماء. اللهم انها سرقت ناقتة - [00:26:20](#)

لم ترد ذلك فردها عليه. فقال الاعرابي يكفي يكفي. لا حاجة لي في دعائك. اعرابي على الفطرة لا حاجة لي في دعائك. قال وانما قال ما دام انك تقول ولم ترد سرقتها - [00:26:50](#)

اخشى ان يريد ردها فما ترد. صار ما له ارادة اذا. ما غلبت ارادته. ارادة السارق اغلب من ارادة الله تعالى لا حاجة لي في دعائك لا تدعو لي. قال ولما؟ هذا مجتهد وعالم لكنه على هوى - [00:27:10](#)

العياذ بالله ينفي صفات الباري جل وعلا ينفي الارادة عن الله جل وعلا. وان كل انسان يريد لنفسه والله جل وعلا ما اراد شيئا في الوجود وما في وجودي شيء الا بارادة الله وما تشاؤون الا ان يشاء الله. وارادة الله غالبية. والارادة - [00:27:30](#)

كما هو معلوم ارادة كونية قدرية وارادة دينية شرعية. والارادة الكونية القدريية لجميع المخلوقات والارادة الدينية الشرعية لمن اصطفاه الله جل وعلا واحبه وهي المرادفة للمحبة. فقد يكون المرء عالم وقد يكون كبير قوم وقد يكون - [00:28:00](#)

قائد وهو ظال والعياذ بالله. وعلى المرء ان يرجع الى كتاب الله وسنة رسوله. ويحذر البدعة فانها تضره وتهلكه. وابليس اللعين يحرص على البدعة اكثر من حرصه على المعصية لان العاصي يعصي الله وهو يشعر بانه مخطئ. وربما في يوم ما قريب او بعيد يقول استغفر الله - [00:28:30](#)

الله واتوب اليه ويندم على ما توب الله عليه. لكن المبتدع والعياذ بالله ما يقول استغفر الله واتوب اليه المبتدأ يرى انه اتى بشيء عظيم في الدين. انه اتى بشيء لم يأت به الرسول صلى الله عليه وسلم. ويرى انه كمل - [00:29:00](#)

ما نقص منه الرسول صلى الله عليه وسلم فلذا الشيطان اللعين يحرص على البدعة والله جل وعلا يحذر عباده من الاهواء والخلاف. والبعد عن الكتاب والسنة. والبعد عن صراطه المستقيم والبعد عن سبيل المؤمنين. من سلك سبيلا غير سبيل المؤمنين - [00:29:20](#)

قد هلك وظل وان عبد واجتهد في العبادة. يقول تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه يعني يوم القيامة حين تبيض وجوه اهل السنة والجماعة وتسود وجوه اهل البدعة كما قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم؟ قال - [00:29:50](#)

الحسن البصري وهم المنافقون. فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون. وهذا الوصف يعم كل كافر وقوله تعالى واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون. يعني الجنة ماكنون فيها ابدا - [00:30:20](#)

لا ييغون عنها حولا. والله اعلم صلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين - 00:30:40